تطور العمل الوطني التونسي في العشرينات:

.1العوامل الداخلية:

-ارتفاع عدد المتخرجين من جامع الزيتونة ومعهد كارنو والمعهد الصادقي والمعهد العلوي ومنهم من أتمّ دراسته الجامعية في فرنسا فكلهم يتقنون اللغة الفرنسية ومطلعون على التطورات الحاصلة في العالم الغربي وقد مكنهم مستواهم التعليمي من الارتقاء في سلم الوظائف الاجتماعية والطموح إلى واقع أفضل من الذي يتوفر في البلاد ومن بين هؤلاء الشباب نذكر علي باش حامبة والطاهر والبشير صفر وعبد العزيز الثعالبي وغيرهم.

-تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للتونسيين في المدن وخاصة الأرياف نظرا لقلة عناية الدّولة بالتعليم العام والتعليم التقني والمهني في الفلاحة أو الصناعة وانتشار الفقر وثقل الضّرائب.

-التمييز في المعاملة بين المعمرين من جنسيات أوروبية وخاصة الإيطالية والفرنسية وأهالي البلاد في العديد من القطاعات.

-تدعيم فرنسا لسياستها الاستعمارية اثر نهاية الحرب الكبرى نظرا لحاجتها لموارد مستعمراتها التي تحصل عليها بأقل التكاليف فاستأنفت الاستعمار الزراعي وسنّت الثلث الاستعماري لفائدة الموظفين الفرنسيين لتشجيع المعمرين الفرنسيين على العمل في البلاد التونسية كما فتحت الأسواق التونسية امام الانتاج الصّناعي الفرنسي وعجز الحرفيون التونسيون عن منافسته فتدهورت مداخيلهم وأفلس أغلبهم.

.2العوامل الخارجية:

-تأثر الشباب التونسيون بحركة "تركيا الفتاة" التي وصلت إلى الحكم في جويلية 1908 وضغطت على السلطان عبد الحميد الثاني للعودة للعمل بالدستور المعلق منذ 1878 ثم تمكنت من تعويضه بأخيه في أفريل 1909.وقد عرفت حركة "تركيا الفتاة" بوقوفها ضد التوسع

الاستعماري وحرصها على دسترة الحياة السياسية وتوحيد المسلمين في جامعة اسلامية تساعدهم على التصدي للأطماع الاستعمارية مثل أطماع ايطاليا في إيالة طرابلس.

-تأثروا أيضا بالثورة المصرية التي قادها سعد زغلول سنة 1919 ضد الاستعمار الانقليزي وانتهت بإلغاء الحماية الإنقليزية سنة 1922.

-اعلان مبادئ ولسن في جانفي 1919 وخاصة منها البند 5 المتعلق بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فالولايات المتحدة الأمريكية لم تكن دولة استعمارية مثل الدول الأوروبية لكنها كانت بحاجة لفتح الأسواق أمام انتاجها ولا يمكن أن تفتح هذه الأسواق إلاّ إذا كانت في بلدان ذات سيادة. لقد أعطت هذه البنود أملا للشعوب المستعمرة في الحصول على استقلالها مثل شعوب المغرب التي كانت ترزح تحت الاستعمار الفرنسي.

-إعلان ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية بدعوى عجزها عن حماية الجالية الإيطالية في طرابلس و استعمارها لليبيا سنة 1911.

-المظاهر تطور الحركة الوطنية التونسية:

.1انشطة حركة الشباب التونسي في بداية القرن العشرين :

-النشاط الثقافي الوطني في الجمعيات مثل "الخلدونية " و"جمعية قدماء الصادقية " ونشر مقالات توعوية في صحيفة "الحاضرة "الصادرة منذ 1888 ثم "التونسي" الناطقة بالفرنسية منذ فيفري 1907 ثم بالعربية منذ نوفمبر 1909.

-الحركة المطلبية التي كانت نتيجة حتمية لتطور الوعي الوطني بالهوية التونسية فكانت مطالبتهم بالعناية بالتعليم وحماية الحرفيين من منافسة الانتاج الفرنسي لإنتاجهم إلى جانب تشريك الفلاحين التونسيين في استغلال الأراضي.

-النشاط السياسي من خلال مشاركة عناصر الحركة مثل محمد الأصرم والبشير صفر في المؤتمر الاستعماري بمرسيليا في سبتمبر 1906 وفي مؤتمر شمال إفريقيا الاستعماري في

أكتوبر 1908 فكانا فرصة لتأكيد مطالب التونسيين أمام المجتمع الفرنسي الذي تفاعل معها جزئيا لكن السلط الاستعمارية قررت اللجوء الى القمع.

–اللجوء إلى التصعيد ومناصرة الشعب في تحركاته وخاصة منها أحداث الزلاج في نوفمبر 1911 ومقاطعة الترامواي بداية من فيفري 1912.

لقد سهل اقتصار تواجد حركة الشباب التونسي على العاصمة عملية قمعها بنفي أغلب عناصرها ومنع صدور صحيفة "التونسي " في مارس 1912 إلا أن هذه الحركة مثلت مرحلة هامة في تطور الحركة الاصلاحية والحركة الوطنية التونسية التي ستعرف تطورا نوعيا إثر الحرب الكبرى.

.2تطور الحركة الوطنية في العشرينات:

أ. الحزب الحر الدستوري التونسي:

–كان لتحركات الشعبين المصري والتركي أثر مباشر على وعي التونسيين بضرورة التنظم لتحقيق مثل تلك النجاحات فتم في ربيع 1919 تأسيس الحزب التونسي الذي أعتبر امتدادا لحركة الشباب التونسي.

–وفي مارس 1920 تم **تأسيس الحزب** الحر الدستوري التونسي من قبل بعض عناصر حركة الشباب التونسي بقادة عبد العزيز الثعالبي.

–لخص عبد العزيز الثعالبي **برنامج الحزب** في كتابه "تونس الشهيدة "بمعية أحمد السقا في المطالب الموالية:

• تحقيق المساواة بين التونسيين والفرنسيين في إطار نظام الحماية من خلال وضع نظام دستوري يرتكز على الفصل بين السلط ويضمن الحريات العامة والمساواة أمام القانون والوظائف العمومية والضرائب.

•المطالبة بإجباريّة التعليم الابتدائي مع تنويع الاختصاصات في المرحلة الثانوية والجامعية وفتح الآفاق أمام الرّاغبين في مواصلة دراستهم الجامعية في الخارج.

•الاهتمام بالمشاكل العقارية للتونسيين من خلال المطالبة باعتراف السلط الاستعمارية بحق العروش في امتلاك الأراضي التي تقيم عليها حتى وإن لم يكن لها اثباتات الملكية وتشريك التونسيين في عمليات اقتناء الأراض الدولية والقروض الشعبية...

•تعميم الأشغال ذات المنفعة العامة بكامل البلاد كلما اقتضت الضرورة ذلك.

•اصدار قوانين اجتماعية لحماية الأطفال والنساء والمتقدمين في السن.

–وقد اعتمد **نشاط الحزب** الحر الدستوري على كسب الرأي العام التونسي عن طريق الصحف والاجتماعات وإنشاء الشعب في أغلب مناطق البلاد والتعريف بمطالب التونسيين لدى السلطات الفرنسية في تونس وفي باريس عن طريق الوفود والعرائض الممضاة من قبل آلاف التونسيين إلى جانب السعي لكسب مناصرة الباي محمد الناصر لمطالب الوطنيين.

لقد خرجت الحركة الوطنية مع الحزب الحر الدستوري في العشرينات من محيطها النخبوي الضيق المقتصر على العاصمة ليتوسع لفائدة الفئات المتوسطة والشعبية في كامل أنحاء البلاد وهو ما أثار مخاوف السّلط الاستعمارية التي لجأت الى منع الحريات وقمع الوطنيين وتشتيتهم.

ب. جامعة عموم العملة التونسية:

–ترجع **ظروف نشأتها** أساسا إلى وعي العمال التونسيين بفشل النقابات الفرنسية في تحقيق مطالبهم باعتبار سياستها التمييزية بين العمال. وقد أكسبهم تواجدهم في النقابات الفرنسية خبرة أهلتهم لإنشاء نقابات وطنية خاصة بالتونسيين في ظرفية تميزت بكثرة الاضرابات سنة 1924.

–تم **تأسيس جامعة عموم العملة التونسية** في 1 نوفمبر سنة 1924 بعد الانطلاق في بعث النقابات منذ بداية السنة.

-ويمكن تلخيص أهداف هذه الجامعة في توفير إطار منظم قادر على تجميع الأجراء قصد حماية حقوقهم المادية والمعنوية دون تمييز بينهم بسبب جنسياتهم أو أديانهم.

-وقد تنوعت **أنشطة هذه الجامعة العمالية** تحت قيادة محمد علي الحامي ومختار العياري وأحمد بن ميلاد وغيرهم فقد كانوا ينشئون النقابات ويعقدون الاجتماعات العمالية ويشرفون على الاضرابات المطالبة بتحسين أوضاع العمال ويتفاوضون مع أصحاب المؤسسات او الأطراف المشغلة...

لقد أشعرت جامعة عموم العملة التونسية الأجراء التونسيين باستقلاليتهم وقدرتهم على الضغط على المستعمر وهو ما لم تنكره السلطات الاستعمارية التي سارعت إلى نفي قادة الجامعة العمالية الفتية ومنع كل نشاط لها.

شأنها شأن القوى الوطنية في بقية بلدان المغرب العربي استفادت القوى الوطنية التونسية من ظروف جديدة أفرزتها الحرب العالمية الثانية وساعدتها على نيل استقلالها .**فما هي تأثيرات الظروف الجديدة التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية في البلاد التونسية والحركة الوطنية فيها؟ وما هي التطورات التي شهدتها التحركات الوطنية إلى تاريخ الاستقلال يوم 20 مارس 1956؟**

-تأثيرات ظرفية ما بعد الحرب العالمية الثانية في تونس والحركة الوطنية فيها:

.1أزمة اقتصادية واجتماعية خانقة:

-اقتصاديا: عانت البلاد التونسية من أزمة حادة نتيجة تراجع الانتاج الفلاحي فقد توالت سنوات من الجفاف لم يقدر الفلاحون بإمكانياتهم البسيطة على توفير ما يكفي لسد حاجيات أهل البلاد من المواد الغذائية فضلا عن بعض المواد الأخرى التي يستخدمها الحرفيون مثل الحلفاء والصوف.

-اجتماعيا: انتشرت البطالة وانتشرت معها مظاهر الفقر والبؤس والجوع في الأرياف واحتدت حركة النزوح الى المدن الساحلية قصد البحث عن الشغل أو بعض الخدمات التي يمكن أن تتوفر فيها لكن مظاهر الفقر والاحتياج كانت هي الطاغية خلال هذه الفترة.

.2انهيار الامبراطوريات الاستعمارية:

رغم انهيار كل من الإمبراطوريتين البريطانية والهولندية (أغلب مستعمراتها آسيوية) فإن فرنسا لا تزال متمسكة بسياستها الاستعمارية التعسفية في كل مستعمراتها ولم تكن الوضعية مختلفة في تونس بل إن قرب تونس من فرنسا جعلها حريصة على استغلال كل مورد فيها قصد تخطي مرحلة الضعف التي عانت منها نتيجة الحرب ضد ألمانيا وحلفائها فأصبح المناضلون التونسيون يبحثون عن مخرج دولي للأزمة التونسية.

.3إقرار ميثاق الأمم المتحدة حق الشعوب في تقرير مصيرها:

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى قدم ولسن نقاطه الأربعة عشر والتي منها البند 14 الذي دعا إلى توفير ضمانات متبادلة ومتساوية في الاستقلال السياسي والقومي بين كل الدول وبعد الحرب العالمية الثانية تم التأكيد على هذا المبدأ من خلال ميثاق منظمة الأمم المتحدة الذي يدعو إلى التسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيرها فكان هذا المبدأ منطلقا لمواصلة النضال والسعي لكسب أنصار دوليين للقضية التونسية.

-مظاهر تطور الحركة الوطنية التونسية في الثلاثينات:

1/ تأسيس جبهة وطنية تونسية:

حرص رموز الحركة الوطنية من قادة اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري وقادة الديوان السياسي للحزب على الإتحاد في جبهة وطنية انضم لها العديد من علماء جامع الزيتونة لتوحيد جهودهم ومطالبهم من المستعمر الفرنسي حتى يتأكد من جدية مطالبتهم بالاستقلال.

.2انعقاد مؤتمر ليلة القدر:

عقدت الجبهة الوطنية مؤتمر ليلة القدر يوم 23 أوت 1946 في العاصمة وقد حضره ممثلون عن كل جهات البلاد وكل طبقات الشعب ومكوناته السياسية والثقافية والنقابية واتفق جميع الحاضرين على أن الحماية نظام سياسي واقتصادي يتعارض مع المصالح الحيوية للشعب التونسي وحقه في التمتع بسيادته لذلك فإنه سيحرص على استرجاع استقلاله التام. وفي هذا الإطار تندرج الإضرابات المتكررة للعديد من القطاعات من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى بداية الخمسينات.

3/ تجذّر الحركة الوطنية:

–مرّت أول خطوة لتدويل القضية التونسية عبر جامعة الدول العربية الحديثة النشأة فما أن وقع ميثاقها حتى أرسل إليها الحبيب بورقيبة ليمثل التونسيين المطالبين باستقلال بلادهم يوم 26 أفريل 1945.

–وفي 18 جوان 1948 كلف جلولي فارس وهو عضو في الديوان السياسي بتمثيل تونس في مؤتمر شعوب أوروبا وآسيا وإفريقيا الذي عقد في باريس قصد ايصال صوت التونسيين المطالب بالاستقلال.

–كما أن فرحات حشاد دعا المنظمات النقابية الأمريكية إلى التضامن مع الشعب التونسي ونصرة قضيته أمام الاستعمار الفرنسي في شهر سبتمبر سنة 1951.

3/ المقاومة المسلحة:

.1فشل مفاوضات حكومة محمد شنيق مع السلط الاستعمارية:

في أوت 1950 بدأت تجربة حوار ثانية مع فرنسا بقيادة حكومة شنيق الثانية لكنها فشلت فقد تمسكت فرنسا بمبدأ السيادة المزدوجة ورفضت الحوار كما لجأت إلى الاضطهاد والقمع مع المقيم العام جون دي هوتكلوك في جانفي 1952.

توجيه شكوى إلى مجلس الأمن يوم 14 جانفي بإمضاء محمد شنيق رئيس مجلس الوزراء في الحكومة التونسية.

.2اعتماد المقاومة المسلحة كحل اضطراري:

-في مؤتمر الحزب الحر الدستوري المنعقد يوم 18 جانفي 1952 أعطيت إشارة انطلاق الثورة المسلحة المنظمة والتي فاق عدد المنخرطين فيها 3000 مجاهد.

-شن الفلاقة بقيادة الطاهر الأسود والأزهر الشرايطي ومصباح الجربوع ومحجوب بن ميلاد وغيرهم حرب عصابات على مصالح السلط الفرنسية وكل الموالين لها في أغلب مناطق البلاد.

-كما تواصلت المظاهرات الشعبية التي أصبحت المرأة تشارك فيها بكثافة مثل مظاهرة يوم 15 فيفري 1952.

-لمزيد الضغط على المناضلين لم تكتف فرنسا بالنفي والاعتقالات التي شملت العديد منهم فإنها لجأت إلى اغتيال مناضلين بارزين مثل النقابي فرحات حشاد (5 ديسمبر 1952) والسياسي الهادي شاكر (13 سبتمبر 1953).

4/ من الاستقلال الداخلي إلى الاستقلال التام:

.1الاستقلال الداخلي:

- بوصول حكومة منداس فرانس إلى الحكم أعلن في خطاب أمام الأمين الباي يوم 31 جويلية1954 استعداد فرنسا " لنقل مقاليد السيادة الداخلية إلى تونسيين ومؤسسات تونسية."

-تم تشكيل حكومة تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمار في أوت 1954 لإبرام الاتفاقيات التي تضبط حقوق الجانبين.

-نصّت اتفاقيّات الحكم الذاتي الموقع يوم 3 جوان 1955 على منح الإدارة الداخلية للتونسيين واحتفاظ فرنسا بشؤون الدفاع والسياسة الخارجية.

اعتبر صالح بن يوسف (الأمين العام للحزب الحر الدستوري) وأنصاره اتفاقيات الحكم الذاتي خطوة إلى الوراء ودخلت الحركة الوطنية في خلافات حادة لم يحسمها إلا مؤتمر الحزب

الحر الدستوري المنعقد بين 15 و18 نوفمبر 1955 بصفاقس لفائدة الحبيب بورقيبة (رئيس الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري) ففر صالح بن يوسف إلى المشرق.

5/ اعلان الاستقلال التام للبلاد التونسية:

-اعتبرت كل القوى الوطنية التونسية أن الاستقلال الداخلي لا يمثل سوى خطوة نحو الاستقلال التام لذلك يجب أن تتواصل المفاوضات لإتمام هذا الاستقلال.

-منذ 27 فيفري 1956 دخلت الحكومتان التونسية والفرنسية في مفاوضات انتهت بتحرير نسخة الاستقلال التام في باريس يوم 20 مارس 1956.

استقلال تونس في سياستها الخارجية وفي الأمن والدفاع مع تلقي دعم فرنسي في هذه المجالات.